محاضرات في الجغرافية السياسية/ المحاضرة الرابعة

الأستاذ المساعد الدكتور

عمر كامل حسن

جامعة الأنبار – كلية التربية للعلوم الإنسانية

University Of Anbar - College Of Education for Human sciences -
Department Of Geography
Assist – Prof. Dr. **Omar Kamel Hassan**

العناصر الطبيعية لقوة الدولة

The natural elements of state power

لا يمكن إغفال المظاهر الطبيعية في الجغرافية السياسية، فالعلاقة بين سكان الدولة واراضيها لا يمكن فهمها إلا بعد التعرف التفصيلي على كل منها، وعادة ما تكون نسبة الخطأ في الدراسات الطبيعية أقل من الدراسات الإنسانية، لأن للأولى صفة الثبات، فالأرض التي تحتلها الدولة تغييراتها عادة أبطأ من تغيرات البشر الذين يعيشون عليها، وكلنا نعرف أن أي إطار طبيعي توضع فيه الدولة ما هو إلا نتيجة تفاعل العوامل المتعددة، كل منها يعالج على حدة للتعرف عليه بدقة، وإن كانت تتجمع وتتفاعل لتعطينا في نهاية الأمر مسرحا مجهزا يعش عليه الإنسان.

أولاً – الموقع :

يسهم الموقع ، بمختلف مؤثراته الجغرافية ، في بلورة هوية الدولة السياسية وقدرتها الاقتصادية من خلال تفاعله مع العوامل الجغرافية الاخرى المساعدة ، اذ يمكن استشراف اثر الموقع في قوة الدولة من عدة جوانب نظراً لتعدد وتنوع تأثيرات الموقع في قوة الدولة ووزنها السياسي فهو يأتي في مقدمة العوامل الطبيعية التي مازالت تعد ركيزة اساسية في دراسة مفاهيم قوة الدولة والتي تركت عوامله آثاراً كبيرة في توجيه سياسات المجتمعات البشرية عبر الزمن. ومن هذا المنطلق تؤكد الجغرافية السياسية على الجغرافية الطبيعية وأثرها في بناء الدولة باعتبارها الارضية التي تتفاعل فوقها جميع الاحداث السياسية، لذلك يرتبط موقع كل دولة او اقليم بالتاريخ السياسي له بل هو انعكاس لكل ذلك التاريخ، اذ يُعد الموقع الجغرافي محفز كامن لقوة الدولة وفي الوقت نفسه محفز للقوى الاخرى للاستحواذ عليه للحصول على ذلك المكمن من القوة. ولكن تأثير الموقع وأهميته متغيرة وليست ثابتة اذ يتوقف ذلك على الزمن والظروف وتغير موازين القوى والتكنولوجيا ويمكن ان نستشهد بالأهمية المتغيرة للموقع عبر الزمن بتغيرات موقع كل من

المملكة المتحدة ورأس الرجاء الصالح وبولندا وكذلك الحال بالنسبة لموقع دولة الباكستان ما بين ايام الحرب الباردة (1945 – 1990) والوقت الحاضر.

يُعدّ الموقع الجغرافي نقطة الانطلاق في تحديد الأولويات الخارجية للدولة القومية حيث يظل حجم الرقعة الوطنية (مساحة الدولة) واحداً من اهم معايير المكانة والقوة ، وعلى الرغم من ان الموقع يمتاز بالثبات على سطح الأرض إلاّ أن اهميته الاستراتيجية وقيمته السياسية وتطبيقاته في تغير مستمر، وذلك تبعاً للعوامل الآتية :-

أ- التطور في تكنولوجيا ومسائل النقل والمواصلات .

ب- تغير الأقاليم الجيوبوليتكية المحيطة بالدولة.

ج- ادراك رجل الدولة أهمية الموقع النسبي لدولته .

د- البعد الجغرافي لهذا الموقع عن مصادر الخطر او مصادر القوة ، أي الحلفاء.

1 – الموقع الفلكي : تهتم الدراسات الجغرافية السياسية الكلاسيكية كثيراً بالموقع الفلكي مع انه له تأثير محدد في الأهمية الجغرافية للنشاط السياسي للدولة وبخاصة في تبيان الموقع العالمي للدولة وطبيعة المناخات المحتملة السائدة فيها من خلال تحديد تلك الخطوط والدوائر . مع ذلك وجب علينا الاشارة الى هذا الموضوع طالما ان معظم ادبيات الجغرافية السياسية تشير الى ذلك. يقصد بالموقع الفلكي للدولة موقعها من حيث دوائر العرض وخطوط الطول.

تختلف اهمية كل من خطوط الطول ودوائر العرض لكل دولة فخطوط الطول تنحصر اهميتها في معرفة الوقت وتحديد مواقع المدن المهمة والمؤثرة (مثل العواصم) وتحديد المواقع الحيوية في الدولة (مواقع الصناعة، مواقع توليد الطاقة، السدود والخزانات المؤثرة في حياة الدولة) والتي لو ضربت فان نتائجها السوقية والاستراتيجية تكون مؤثرة جداً ومواقع قوة الدولة العسكرية وقواعدها المهمة التي لا تقل اهمية عما سبق ذكره، في حين تأتي اهمية دوائر العرض من حيث اثرها على الصفات المناخية لكل دولة واثر ذلك على النشاط البشري فيها فكلما كانت الدولة تمتد على مساحة كبيرة من دوائر العرض ادى ذلك الى تنوع الظروف المناخية فيها بشكل يمنحها فرصة للتكامل الاقتصادي بين اجزائها.

2 – **موقع الدولة بالنسبة لجوراها الجغرافي :** يعد موقع الجوار للدولة من الامور المهمة المتعلقة بسياستها إذ ان مجاورة الدول بعضها لبعض يؤثر دائما في علاقاتها اثناء السلم والحرب على حد سواء ، كما يذكر (الكسندر) اهم المواقع الثلاثة لارتباطه بالحدود ومشاكلها وبإمكانيات الدفاع والهجوم وبالحالة الاقتصادية المتبادلة.

ويبدو الأثر السلبي الذي يتركه موقع الجوار على الدولة بشكل واضح عندما تجاور الدولة دولاً اخرى تختلف عنها في النواحي الايديولوجية والسياسية وهذا ما يمثله موقع الجوار لكل من الهند والباكستان ، وعلى العكس مما تقدم فكلما كانت الدولة المشتركة في الحدود متشابهة في النواحي الايديولوجية والسياسية وذات علاقات جوار حسنة انعكس ذلك على طبيعة علاقاتها ومتانتها كما هو الحال في علاقات كل من كندا والولايات المتحدة الامريكية.

ويؤثر عدد الدول المجاورة للدولة على علاقاتها بهذه الدول فكلما كانت الدولة تجاور عدداً كبيراً من الدول كلما مثل ذلك نقطة ضعف في بنيتها السياسية حيث تحتاج الدولة الى كلفة لحماية حدودها والسيطرة عليها، كما يظهر التأثير الجيوبوليتيكي في موقع الجوار على العلاقات الدولية فيما اذا كان هناك تباين بين الدول من حيث القوة أي عندما تكون احدى الدولتين المتجاورتين تتمتع بقوة اكبر فان هذا يعني خضوع الدولة الثانية الاقل قوة لتأثير الدولة القوية.

3 – الموقع الإستراتيجي : ترتبط الأهمية الاستراتيجية للدولة بموقعها الذي هو الآخر متغير بحسب الظروف والزمان وحسب بروز او تغير موازين القوى المحيطة بذلك الموقع للدولة والذي يرتبط أيضاً بمستوى التطور التقني ومديات الاسلحة وكثافة – نيرانها ، ومع كل ذلك تبقى المواقع ذات الأهمية الاستراتيجية محتفظة بخصائصها وافضليتها لان من شأن الدول التي تتمتع بمثل هذه الأهمية ان تسعى للحفاظ عليها من خلال وسائلها الدفاعية والتقنية ايضاً .

ان لكل موقع على سطح الأرض أهمية استراتيجية ، وتختلف هذه المواقع من حيث درجة اهميتها من وقت الى آخر ، فالمقصود بالموقع الاستراتيجي بالمعنى العسكري الضيق هو (الموقع الذي يترتب عند السيطرة عليه بحسب الحماية ضد العدو كما انه يمكن القوات من القيام بالهجوم على العدو)، اما معناه الواسع (فانه يمتد الى النواحي الاخرى السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك بحيث يعد ذلك المكان البؤرة التي يتركز عليها التخطيط في محاولة لكسب النجاح في هذه المجالات).

وهذا يعني ان الموقع الاستراتيجي : هو الموقع الذي يمنح الدولة ميزة مفضلة عسكرياً وسياسياً واقتصادياً ضد اعدائها او منافسيها مع ذلك لا تبقى هذه الاهمية الاستراتيجية ، لاي موقع ، على حالها بل هي في تغير مستمر على ضوء تطور توازن القوى والتطور التكنولوجي.

وفي كلا الحالتين نجد ان الموقع الاستراتيجي يسهم في تعزيز قوة الدولة كما ان له اهمية كبيرة بالنسبة لأمنها واقتصادها وعلاقاتها الخارجية وتشجع هذه المواقع في اوقات السلم الاتصالات التجارية وينشط التفاعل الحضاري والفكري بين الشعوب اما في اوقات الحرب فقد يترتب عن السيطرة عليه تقرير

مصير بعض الدول. وعليه يمكن تعريف الموقع الاستراتيجي بأنه ذلك الموقع الجغرافي الذي يمنح الدولة وضعاً افضل في حال الدفاع او الهجوم ونوعاً من الحماية الذاتية في اوقات الحروب والأزمات .

ويمتاز الموقع الجغرافي بالثبات شأنه شأن العناصر الجغرافية الطبيعية الأخرى من حيث كونه مكاناً ثابتاً على سطح الأرض الا ان أهميته الاستراتيجية في تغير مستمر وذلك بتغير الزمان اولاً وتطور التقنيات التكنولوجية وتقدمها ثانياً.

4 – الموقع البحري : يعد موقع الدولة من حيث اليابس والماء عنصراً هاماً في تحديد مكانتها السياسية والاقتصادية إذ يتم من خلالها تحديد مصالحها وحالتها الاقتصادية تبعاً لطبيعة الموقع الذي تمتاز به ، فهناك دولٌ قارية مغلقة لا تطل بساحل او جبهة على أي مسطح مائي وتسمى الدول الحبيسة، في حين تمتلك دولٌ اخرى سواحل او جبهات مائية فيطلق عليها اسم الدول المفتوحة او البحرية.

وتختلف مواقع الدول البحرية اختلافاً كبيراً عن مواقع الدول القارية من حيث توجهها السياسي ، فالدول البحرية يمتاز سكانها بالنظرة العالمية وتقبلهم واقبالهم على كل ما هو جديد أي انفتاحهم بصورة عامة على العالم الخارجي ، وخير مثال على ذلك هو قيام الامبراطوريات العظمى وسيطرتها على العالم والتي غالباً ما تكون دولاً بحرية فضلاً على الاستقلال الكامل والسيادة التي تمتاز بها الدول البحرية وتحررها من مؤثرات الدول المجاورة لها، خاصة اذا ما وجدت الاختلافات بينها وبين هذه الدول المجاورة لذلك نلاحظ توجه الدولة نحو البحر للاتصال بالعالم الخارجي من دون تأثيرات من دول اخرى، وهذا ما يفرض عليها نوعاً من الحصار الاقليمي مقارنة بالدول القارية الحبيسة .

كما انه يؤثر على مناخ الدولة ، ويقدم فرص التقدم التجاري من اجل التوسع السياسي والاقتصادي فغالباً ما يصبح الساحل مصدر رزق للسكان الذين يسكنون بالقرب منه ، وهنالك دولٌ تمتلك سواحل بحرية طويلة تطل بها على بحار مقفلة او شبه مقفلة او قد يكون موقعها بعيداً عن الطرق التجارية الرئيسة بحيث تفقد جزءاً مهماً من اهميتها التجارية بسبب موقعها الجغرافي مثال على ذلك الجزء الشمالي من كندا وسيبيريا ومثلما يعطي الموقع البحري للدولة تلك الامكانيات المهمة فانه في الوقت نفسه يجعلها عرضة للغزو ونقطة للانطلاق نحو الداخل. فضلاً على التأثيرات الاقتصادية التي ترتبت على كل من الموقع البحري والقاري للدولة فهناك تأثير واضح على طبيعة ونوع الدفاع الذي تعتمد عليه الدولة إذ نلاحظ ان الدول البحرية تركز اهتمامها على بناء اسطول بحري حربي وتجاري في حين ان الدولة القارية تركز اهتمامها على اعداد الجيش البري.

ولا تقتصر اهمية الدولة على موقعها البحري ليجعل منها دولة قوية وانما يعتمد ذلك على مجموعة عوامل طبيعية اخرى تساعد على منحها هذه القوة وتتمثل هذه العوامل الطبيعية في :-

أ- درجة صلاحية الساحل لإنشاء الموانئ والقواعد العسكرية والتجارية .

ب- الظروف المناخية السائدة في تلك المنطقة .

ج- طول الساحل وصلاحيته .

د- درجة سهولة الاتصال بين الساحل والاقاليم الداخلية الاخرى.